بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علَّمه البيان، والصَّلاة والسَّلام على من كان خلقه القرآن، – محمد بن عبد الله ﷺ – وعلى آله وصحبه الكرام الأخيار وسَلِّم اللّٰهم تسليمًا كثيراً .

أما بعد،،،،،

فما زالت الدِّراسات العربية الحديثة تقدم لنا يوماً بعد يوم بعض البحوث عن اللهجات العربية القديمة كدعوة عامَّة منها أو كمحاولة لإزالة الخلاف بين العربية الفصحى ولهجاتها والتقريب بينهما، وذلك بعد أن ضَنَّ علينا الباحثون قديماً بتقديم دراسة مستقلة عن اللهجات العربية القديمة، ونلتمس لهم العذر في ذلك بسبب انشغالهم باللغة النموذجية الأدبية – لغة القرآن الكريم – .

"فالعرب أمة واحدة من حيث الميول والصفات العامَّة في جملتها، ولكنهم قبائل كثيرة تعتز كل منها بنسبها، وتعنى بالاحتفاظ بمقوماتها وتقاليدها، ولكل منها طريقتها في النطق والأداء، بسبب ما درجت عليه وما أحاط بها من مؤثِّرات، ولهذا نجد اختلافاً في لغات القبائل تبعاً لهذه العوامل، وكان من نتيجة كل ذلك، تلك اللهجات الكثيرة التي دون الباحثون ضروبها[1]".

ولا شك أنَّ تلك اللهجات العربية القديمة هي أهم الأسس والقواعد التي بنيت عليها اللغة النموذجية الأدبية، ومحاولة الكتاب عنها ودراستها مما يعطي ثراء لتلك اللغة، وفي الوقت نفسه يعالج كثيراً من تلك القضايا المطروحة على السَّاحة اللغوية .

وإذا كان القدماء قد ضنُّوا علينا بتقديم دراسة مستقلة عن اللهجات العربية القديمة نتبيَّن من خلالها الملامح والسمات وطرق الأداء الخاصَّة بكل لهجة، لم يعد أمام الباحثين حديثاً لدراسة تلك اللهجات من مصدر إلا تلك الشَّواهد والنُّصوص والإشارات التي وصلت إلينا عن طريق كتب القراءات والأصوات والنحو والصرف والمعاجم والحديث والتفسير والفقه والتاريخ وغيرها .

---

(1) القواعد النحوية، مادتها وطريقتها. عبد الحميد حسن صـ 129– مطبعة العلوم بشارع الخليج 1946 م .

ولا شكَّ أنَّ القرآن الكريم وقراءاته من أوثق المصادر لدراسة تلك اللهجات العربية القديمة، بل هو أصل المصادر جميعاً، فكثير من وجوه الخلاف بين القراءات يعود إلى اختلاف تلك اللهجات "فيكون القرآن الكريم وقراءاته مصدراً أوفى من غيره في دراسة اللهجات العربية القديمة، بل هو الحقل الخصيب الذي ينطوي على تاريخ العربية، وأصول منابعها الثَّرَّة، وإذا طمعنا في كتابة تاريخ للغتنا عليه سمة علمية يجب أن نفتش عن قراءات القرآن الكريم أولا[1]".

وقد يطرح السؤال نفسه: لِمَ كان القرآن الكريم وقراءاته أوفى مصدر في دراسة اللهجات العربية القديمة ؟ .

والجواب :

"لأنَّ منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى، كالشِّعر والنثر، بل يختلف عن طرق نقل الحديث، وقد رأيت ما كان من رسول – ﷺ– من تلقِّيه الوحي، ثم عرضه على جبريل، وما كان من إقرائه الصحابة وقراءتهم عليه، وعلى هذا المنهج سار أصحاب القراءات ... فالقراءة إذن لا تكتفي في النقل بالسماع، بل لا بد من شرط التلقِّي والعرض، وهما أصح الطرق في النقل اللغوي[2]".

ونتيجة لذلك فمن أراد معرفة لغة العرب بكل مستوياتها– الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية – فليكن القرآن الكريم وقراءاته المصدر الأصيل لذلك .

وحقًّا كما ذكر الدكتور / عبد الصبور شاهين: "من العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى علم القراءات القرآنية – مشهورها وشاذها – ؛ لأنَّ روايتها هي أوثق الشَّواهد على ما كانت عليه ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية، واللغوية بعامَّة، في مختلف الألسنة واللهجات، بل إنَّ من الممكن القول بأنَّ القراءات الشَّاذَّة هي أغنى مأثورت التراث بالمادة اللغوية، التي تصلح أساسًا للدراسة الحديثة، والتي يلمح فيها المرء صورة تاريخ هذه اللغة الخالدة[3]".

---

(1) اللهجات العربية في التراث د . أحمد علم الدين الجندي 1 / 113 – الدار العربية للكتاب 1384هـ - 1965م .

(2) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د . عبده الراجحي صـ 84 – دار المعرفة الجامعية 1996م.

(3) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث . د . عبد الصبور شاهين صـ 7 , 8 – مكتبة الخانجي بالقاهرة صـ 1966 م .

ودراسة اللهجات العربية القديمة ينبغي أن توجه أولا إلى القراءات القرآنية الصحيحة المتواترة إلا أنَّ الباحثين عن كثير من مظاهر الاختلاف بين تلك اللهجات يجدون في القراءات الشاذة مادة ثريَّة لهذا الاتجاه .

فالعلماء على جواز الاحتجاج بتلك القراءات في مجال اللغة؛ وذلك لأنها تُعَدُّ مصدرًا حيًّا من مصادر الاستشهاد عند علماء العربية، حيث يقول ابن جني: "من ضروب هذه القراءات ما سماه أهل زماننا شاذًّا، أي خارجًا عن القراء السبعة ... إلا أنَّه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مُساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه .... ولسنا نقول ذلك فسحاً بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءتهم، أو تسويغاً للعدول عما أقرته الثقات عنهم، لكن غرضنا منه أن يُرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذًّا، وأنَّه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرى مُرَّى (أي لئلا يظن ظانٌّ) أنَّ العدول عنه إنَّما هو غضٌّ منه أو تهمة له ومعاذ الله، وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله – ﷺ–، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [1].... فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونتجنبه، فإن قصر شيء منه عن بلوغه إلى رسول الله –ﷺ – فلن يقصر عن وجه من الإعراب داع إلى الفسحة والإسهاب ، إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار، ونتابع من يتبعُ في القراءة كل جائز رواية ودراية ، فإننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذًّا[2]".

ومع قوّة هذا المسمَّى شاذًّا كما يقول ابن جني ظهرت أهمية الكتاب في الكتب التي تعنى بشواذ القراءات .

وكمحاولة للربط بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية قدَّمت هذه الدراسة في كتاب يعد من إحدى الموسوعات التي تعني بشواذ القراءات، وهو كتاب "إعراب القراءات الشواذ للعكبري".

---

(1) سورة الحشر من الآية (7) .

(2) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني . تحقيق : على النجدي وآخرين 1 / 32 , 33 – القاهرة 1415هـ - 1994م .

وقد كانت اللهجات العربية المنسوبة في هذا الكتاب هي موضوع الدراسة فيه؛ لأنَّه ما من صفحة من صفحات هذا الكتاب تخلو تقريباً من تصريح المؤلِّف بأنَّ تلك القراءة لغة بدون نسبة تلك اللغة إلى القبائل العربية الناطقة بذلك، فقد كفى المؤلِّف نفسه مؤونة الكتاب عن تلك اللهجات، ولم يجهد نفسه في الكتاب عنها، ولو أنَّه فعل ذلك لغدا لهذا الكتاب شأن آخر في مجال اللهجات العربية والقراءات القرآنية .

ومن ثم فقد أخذت عهدًا بيني وبين نفسي أن تكون اللهجات العربية غير المنسوبة في هذا الكتاب هي مادة كتاب مستقبلي أدعو الله عزَّ وجلَّ أن يَمُنَّ عليَّ من فضله، وييسِّر لي من رحمته إنجازه وفق ماعاهدت به، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ومن هنا ظهر هذا الكتاب تحت عنوان : **" اللهجات العربية المنسوبة في إعراب القراءات الشواذ للعكبري . دراسة لغوية " .**

ونظرًا لما قدَّمه المؤلِّف من قراءات قرآنية غير منسوبة إلى مَنْ قرأ بها في كتابه كاملا كان لزامًا عليَّ أن أقوم بتوثيق تلك القراءات من خلال جولة في كتب القراءات والتفسير حتى يظهر الكتاب ويخرج إلى الوجود بصورة مقبولة .

وقد اقتضت طبيعة هذا الكتاب من وجهة نظري أن أعرض له من خلال فصلين تسبقهما مقدمة .

الفصل الأول : الدراسة النظرية .

ويشتمل على محورين :

المحور الأول : إطلالة على حياة المؤلِّف .

المحور الثاني : تعريف باللهجات العربية المنسوبة في : " إعراب القراءات الشواذ للعكبري " .

الفصل الثاني : الدراسة التطبيقية .

ويعرض هذا الجانب لأربع قضايا لهجية شائعة في عالم اللهجات العربية والقراءات القرآنية ظهرت على صفحات هذا الكتاب موضوع الكتاب، وذلك من خلال نصِّ المؤلِّف أنَّ تلك القراءات لغة، ناسباً ذلك إلى إحدى القبائل العربية الناطقة بها، وتعرض القضية الأولى منها لإحدى الدراسات الصوتية ، في حين تأتي باقي القضايا في مجال الدراسات النحوية .

والقضايا الأربع هي :

القضية الأولى : الإبدال القضية الثانية: إعراب المثنى .

القضية الثالثة : واو الجمع القضية الرابعة : ما التميميَّة .

وفي النهاية فقد حاولت قدر جهدي إضافة لبنة في صرح الدراسات اللهجية والقراءات القرآنية لعل البناء يكتمل في يوم من الأيام، ويعود للعربية مجدها وهيبتها، وتذوب الفوارق اللهجية بين أبناء الأمة العربية وترتقي جميعًا إلى مستوى اللغة العربية الفصحى .

﴿ ... وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[1].

[1] سورة هود من الآية (88) .